

# البحر الأحمر ساحة حرب معلنة بأجندات دولية وإقليمية مختلفة

## التاريخ والجغرافيا يضعان الدول العربية أمام تحدي تأمين أهم شرايين الاقتصاد الدولي



من يغتم البحر الأحمر يربح الحرب

قناة لرفع منسوبه الذي يشهد تراجعاً ملحوظاً.

لكن الجانب الأردني فوجئ بطلب إسرائيل مد قناة بين البحرين المتوسط والبيت، بدلا من الطرح الأردني بمد القناة بين البحرين الأحمر والبيت، ويقتصر التعاون الحالي مع الدول المشاطرة على انخراطها في "مركز بحوث البحر الأحمر العابر للحدود" لحماية الشعب المرجانية بإدارة المعهد الفيدرالي السويسري متعدد التقنيات في لوزان نظرا إلى الاختلافات السياسية.

### الرؤى العربية

يعدّ "ميثاق جدة" في عام 1965 بين المملكة العربية السعودية ومصر واليمن أقدم دعوة إلى إقامة "نظام أمن مشترك" في البحر الأحمر، ثم صدر بعده قرار يدعو الأمانة العامة في الجامعة العربية إلى ترتيب انعقاد مؤتمر لأقطار البحر الأحمر العربية في سبتمبر 1973. غير أن هذه الدعوات لم يتم تفعيلها ودخلت كل هذه المقترحات طي النسيان نظرا إلى عدم الاهتمام بالقرن الأفريقي. لكن التطورات الأخيرة وبحكم تزايد حدة التهديدات الإقليمية والدولية، والتي يمكن أن تحدث بالغ الضرر بمستقبلها، تجد الاهتمام بأمن البحر الأحمر، ووفر فرصة للتنسيق والدخول في أنشطة تدريب بحرية من خلال الموج الأحمر (1) والموج الأحمر (2) للقيام بمناورات بحرية شاركت فيها السعودية ومصر والسودان والأردن وجيبوتي واليمن، بالإضافة إلى الصومال لرفع قدراتها القتالية وجاهزيتها.

ويمكن القول إن الإمارات العربية المتحدة والسعودية ومصر استطاعت إقامة علاقات أكثر من ممتازة مع إريتريا، وتحجيم التهديد الإيراني بالتواجد في كل من جيبوتي وإريتريا، والتركي في الصومال، ثم بالتصحر على أكثر من محور في القرن الأفريقي عبر الوساطة الناجحة بين إثيوبيا وإريتريا، ودعم السودان الجديد، وقطع الطريق على إيران في اليمن بإحكام السيطرة على باب المندب وخليج عدن. وتكفل كل ذلك بالوقوف ضد كل محاولات تحويل الجوار الجغرافي إلى مناطق دعم لوجستي للتحرف والإرهاب والتمدد الإيراني والتركي.

لكن الدول العربية تحتاج إلى مقاربة شاملة تبدأ أولها بتكثيف حضورها الاقتصادي والثقافي في كل من جيبوتي وإريتريا والصومال التي تشهد توطينا مكثفا لقواعد أجنبية على أراضيها، وهو ما يستدعي رفع سقف الارتباط الاقتصادي والتجاري والثقافي بالدول العربية بغاية تقديم رؤية إستراتيجية بعيدة المدى تقوم على تطوير سياسة توافقية محلية، وتعاونية في بعدها الأمني مع الدول الكبرى للحفاظ على دورها التاريخي وإيجاد رؤية موحدة بما يؤدي لصيانة الاستقرار.

الإريترية على يد عناصر من فيلق القدس، ثم حاولت طهران تطوير علاقاتها بقيامها بعدة أنشطة ثقافية مدروسة تقوم على نشر الفكر الشيوعي، مستغلة بذلك حالة الفجوة بين إريتريا وإسرائيل المتهمه آنذاك بمساندة إثيوبيا والتحيز لها في صراعهما الدائر، ثم أعقبتها محاولة مد الجسور مع "الحزب الإسلامي الإريترية للعدالة والتنمية"، وهو النزاع السياسي للإخوان المسلمين في إريتريا في محاولة للضغط على مصر.

أما الإستراتيجية الإسرائيلية فتقوم على تطوير سلاحها البحري بالتركيز على امتلاك غواصات نووية من نوع متقدم لضمان التفوق العسكري، كما تتبادل بتحويل قضية أمن البحر الأحمر، والحيلولة دون أن يقع أمنه على عاتق الدول العربية حصرا، بحيث تخشى أن يقوم أي حصار بحري على ميناء "أم الرشراش"، إيالات حاليا.

ومن أجل كل هذا تنادي إسرائيل بتحويل باب المندب كمنبر ملاحه دولي للملاحة لتعزيز مكانة ثالث موانئها الذي تحول إلى منطقة تجارية مفتوحة منذ 1985، وتقوم سياستها البحرية على إيجاد عمق إستراتيجي لها في بلدان القرن الأفريقي بتعزيز تعاونها مع إثيوبيا وجنوب السودان وإريتريا، وذلك بعد الفشل الواضح في مشروع "ناقل البحرين" بين الأردن والسفينة التجارية الإيرانية، لكنها قامت بالبحر الأحمر بالبحر الميت بواسطة

المفرغة من "الهلال الشيعي" في الشمال، والتي لا يكتمل إسهاره إلا من خلال تغلغل إيران وتمدها على الجانب الجنوبي من هذا الهلال، خاصة في دول منطقة القرن الأفريقي ومضيق باب المندب على وجه الخصوص. وهو بالحصول على التسهيلات الجيوسياسية العربي.

وحرصت إيران أولا، على تواجدها في البحر الأحمر عبر "جماعة الحوثيين" وحركة أنصار الله التابعة لها في اليمن، ثم تابعت عملية الاختراق من خلال محاولات التغلغل في بلدان القرن الأفريقي في كل من إريتريا وإثيوبيا وجيبوتي والصومال. ولعل أبرز دليل على ذلك هو اختيارها للعاصمة الإريترية أسمرة كمحطة مبكرة لعقد شراكات توجت بربيع اتفاقيات اقتصادية في مجال التعدين والطاقة الزراعية والقطاع الصناعي منذ عام 2008، مما سهّل الحصول على تسهيلات وجيبوتي والصومال.

ولعل أبرز دليل على ذلك هو اختيارها للعاصمة الإريترية أسمرة كمحطة مبكرة لعقد شراكات توجت بربيع اتفاقيات اقتصادية في مجال التعدين والطاقة الزراعية والقطاع الصناعي منذ عام 2008، مما سهّل الحصول على تسهيلات وجيبوتي والصومال. ولعل أبرز دليل على ذلك هو اختيارها للعاصمة الإريترية أسمرة كمحطة مبكرة لعقد شراكات توجت بربيع اتفاقيات اقتصادية في مجال التعدين والطاقة الزراعية والقطاع الصناعي منذ عام 2008، مما سهّل الحصول على تسهيلات وجيبوتي والصومال.

وأعلنت الصين بان المنشأة ستستخدم بصفة رئيسية لدعم الإمدادات العسكرية للقوات الصينية في خليج عدن، وحفظ السلام والعمليات الإنسانية في أفريقيا، ولمنع القرصنة في أعالي البحار. لكن يكمن في نفس الوقت قامت بتدريبات برية وبحرية باستعمال الذخيرة الحربية، وهو الأمر الذي يتجاوز مهمة حفظ السلام للجمع بين أغراض تجارية وعسكرية بحثة كما تشير إلى ذلك "الأوراق البيضاء" الذي أصدرها الحزب الشيوعي، وجعل منها مقدمة لامتلاك مبادرات إستراتيجية في الصراع العسكري، مما حدا باليابان والهند على توقيع اتفاقية دفاع في 2018. واتفقت اليابان والهند على إمكانية تبادل قواعدهما العسكرية، ما يتيح للهند بموجبه استخدام قاعدة اليابان في جيبوتي. لكن الحضور الصيني لم يقدم لحد الآن أي تصور أممي إستراتيجي متكامل لأمن البحر الأحمر، وهو ما حدا

بواشنطن على اعتباره يخفي حضورا مواربا لروسيا، همة الأساسي عدم قدرة الولايات المتحدة في يوم من الأيام استخدامه كمسار جديد لنقل الغاز وكبديل لطرق الغاز الروسية.

تطور الأمر لاحقا إلى إنشاء قاعدة عسكرية في ميناء عصب الإريترية لإسناد بوارجها الحربية الست المستقرة في المياه الصومالية تحت دعوى حماية السفن التجارية الإيرانية، لكنها قامت بتدريب عناصر حوثية بمعسكر "دقلو"

عبر باب المندب وخليج عدن، أما الأهمية الجيوسياسية للبحر الأحمر فتتجلى في عدد كبير من الجزر ذات الأهمية الأمنية والعسكرية البالغة، أهمها: جزيرة شدون والأخوين اللتان تتحكمان بالملاحة بين البحر المتوسط والبحر الأحمر، ثم جزيرة بريم التي تربط بين البحر الأحمر وبحر العرب، والواقعة في فم مضيق باب المندب، ثم جزيرة دميرة التي تطل على باب المندب قرب مثلث الحدود بين الدول الثلاث (إريتريا، جيبوتي، إثيوبيا).

### الإستراتيجيات الدولية

يقصر التواجد الفعلي الأمريكي في قاعدة ليونيه البحرية في جيبوتي التي يتواجد بها 4000 عسكري أمريكي للأسطول البحري الخامس الأمريكي في منطقة "الجفير" شرق العاصمة المنامة، غير أن الولايات المتحدة تدرك بأنه دون تحقيق تقدم على مسار التسوية الإسرائيلية-ال فلسطينية، لا تستطيع الدول العربية التالف مع فرض وجود إسرائيل كقوة إقليمية في البحر الأحمر ما دامت تسعى عمليا إلى عدم مراعاة حق العرب التاريخي والجغرافي في الإشراف على أمنه.

وأحدث التحول الصيني في المقابل، تغيرا في موازين القوى داخل القارة الآسيوية ببروزه كقوة مركزية في بحر الصين الجنوبي. وعملت بكين على توسيع نفوذها الاقتصادي في أفريقيا، والبحث عن تأمين إمداداتها النفطية من أفريقيا ودول الخليج عبر بوابتها الشرقية، خاصة عبر محاولة ربط الصين بآكثر من 70 دولة عبر مشروع طريق الحرير البحري، وهي مكملة لمشروع يهدف إلى إنشاء حزام بري من سلك الحديد والطرق عبر آسيا الوسطى وروسيا.

ومن ثم أصبحت جيبوتي حجر الزاوية في مشروع "الحزام والطريق" عبر إنشاء قاعدة عسكرية بحرية ضخمة تسع 10.000 جندي، مقابل إيجار سنوي يبلغ 20 مليون دولار، وهي أول قواعد البحرية الصينية وراء البحار وبنيت بتكلفة 590 مليون دولار، وتقع بالقرب من ميناء "دورالبي" الذي تشغله الصين وعلى بعد 12 كم من قاعدة ليونيه الأمريكية، وعلى مقربة من عدة قواعد عسكرية أجنبية أخرى.

### تكتيكات إيرانية إسرائيلية

يقوم الطرح الإيراني على محاولة اختراق أمن البحر الأحمر، والتضييق على دوله العربية عبر استكمال الدوائر

الشرق الأوسط ولكنها استهدفت أيضا منغلمات في بريطانيا.

وقال بول تشيتشستر المسؤول الكبير في وكالة المخابرات البريطانية (جي.سي.إتش.كيو) إن هذه العملية تثبت أن المتسللين المدعومين من الدولة يعملون في "حيز مزبحم جدا" ويطورون هجمات وأساليب جديدة لتحسين تغطية مساراتهم.

وقال المركز الوطني للأمن الإلكتروني التابع لوكالة (جي.سي.إتش.كيو) في بيان، رافق تقرير مشترك مع وكالة الأمن الوطني الأمريكية، إنه يريد زيادة الوعي بهذا النشاط وزيادة صعوبة الهجمات بالنسبة إلى الخصوم.

وقال تشيتشستر الذي يعمل مديرا لعمليات المركز الوطني للأمن الإلكتروني "نريد أن نبعث رسالة واضحة مفادها أنه حتى عندما يسعى المتسللون الإلكترونيون إلى إخفاء هوياتهم ستتمكن قدراتنا من كشفهم في نهاية الأمر".

ولم يردّ المسؤولون في روسيا وإيران على طلبات التعليق أرسلت الأحد. ونفت موسكو وطهران مرارا

د. حسن مصدق  
أستاذ في جامعة فانسين  
باريس 8

تنامت أهمية البحر الأحمر المعروف تاريخيا ببحر "القرمز" كبوابة مرور إستراتيجية من البحر المتوسط نحو المحيطات المفتوحة، وأصبح رأسملا جغرافيا مشتركا للدول المتشاطئة حول حوض نهر النيل والقرن الأفريقي وشرق أفريقيا.

ويوصفه أيضا أحد أهم الشرايين الاقتصادية على خارطة المصالح الإستراتيجية للقوى الكبرى في العالم. والحال أنه أمام حضور هذا العدد الهائل من القواعد الأجنبية التي جعلت منه عبارة عن أكبر ثكنة عسكرية للقواعد العسكرية لسنت دول، أقدمها لفرنسا وأحدثها للصين، والمعززة بتواجد عسكري لافت وحشد هائل من حركة الأساطيل المدنية والحربية متعددة الجنسيات.

كل من هذه الدول، تحمل مقاربات وإستراتيجيات مختلفة ومتضادة ومتنافسة على أمن البحر الأحمر الذي تلاقى فيه بيئة تفاعل وتجاذب لصراعات إقليمية ودولية مثل الصراع العربي-الإسرائيلي، والإيراني-الخليجي، والإثيوبي-الإريترية، والإريترية-اليمني إلى جانب تحديات التدخل التركي والإسرائيلي، فضلا عن حدة تنافس الدول الكبرى.

### البحر الأحمر بوابة عبور من البحر المتوسط نحو المحيطات المفتوحة، وأصبح رأسملا جغرافيا للدول المتشاطئة بحوض نهر النيل والقرن الأفريقي

تميل تضاريس البحر الأحمر بانحناء نحو الغرب، ويبلغ طوله من الجنوب إلى الشمال حوالي 1900 كم، وتشمل مساحته حوالي 450.000 ألف كم مربع. وتتجلى الأهمية الاقتصادية للبحر الأحمر المتداخلة في تأمين طرق التجارة الدولية، ويوصفه أحد ممرات النقل الأساسية لتحقيق أمن الطاقة

## تجسس روسي بأدوات إيرانية على الشرق الأوسط

الروسية بطهران قالت فيه "نتيجة للجهود المشتركة لوزارة الخارجية الروسية والسفارة الروسية في طهران، قرر الجانب الإيراني إطلاق سراح المواطنة الروسية يوليا يوزيك". أعلنت احتجاج السلطات المحلية يوزيك، في 2 أكتوبر الجاري، في فندق بطهران، وذلك بعد أن صادرت جواز سفرها عقب وصولها بدعوة خاصة إلى العاصمة الإيرانية، في 29 سبتمبر الماضي.

ومن جهته، قال المحقق الإعلامي الروسي في طهران، أندريه غانينكو، في تصريح، نقلته وكالة ريا نوفوستي الروسية، إن

ادعاءات الغرب بشأن عمليات التسلّل، ويزيد هذا الغموض الذي توخّته كل من طهران وموسكو في تعقيد العملية، حيث لا يستبعد العديد من المراقبين أن تكون العملية مخططا لها مسبقا بين الحكومتين الروسية والإيرانية قصد التجسس على منطقة الشرق الأوسط وبعض العواصم الأوروبية، تحت قناع مجموعة تجسس إيرانية.

وقال مسؤولو المخابرات إنه ليس هناك دليل على تواطؤ مجموعة تورلا الروسية مع ضحيتها الإيرانية وهي مجموعة تسلل إلكتروني تعرف باسم "إيه.بي.تي 34" يقول باحثون في مجال الأمن الإلكتروني في شركات من بينها "فايزاي" إنها تعمل لحساب الحكومة الإيرانية. ويصف المسؤولون الغربيون روسيا وإيران على أنها أخطر تهديدين في مجال الفضاء الإلكتروني، إلى جانب الصين وكوريا الشمالية، مع اتهام كل من الحكومتين بالقيام بعمليات تسلل ضد دول في مختلف أنحاء العالم. وتأتي هذه الحادثة الجديدة بعد أسبوعين فقط على بيان أصدرته السفارة

